

(100) ويقولون لكتف الانسان الى مقصمه يمد
واليد اسماً جامعاً للاصابع والكتف والذراع والمعضد
(من 301) .

ومن هذه الامثلة المائة يتضح ان عامية المغرب
القرب الى الفصحي من عامية الاندلس (واحد وتلاتهين
في المائة) حيث ان 31 كلمة مشتركة من بين مائة تختلف
في المغرب بنية عربية فصيحة في حين ان المائة كلها
الاندلسية كلها بعيدة عن الفصحي)

(97) ويقولون لجمع الماء ميـاه بالتساء ..
والصواب امواء للجمع الاقل ومياه للكثير (من 298) .
(مياه في المغرب) .

(98) ويقولون امراة نفـيـة .. والصواب نفـاء
(من 298) .

(99) ويقولون لبيت الطعام هـري (بكسر الراء)
.. والصواب هـري (بتـسـكـيـنـهـا) (من 299) .

مَأْسَرُ الْحَرْبِيَّةِ فِي الْبَيَانِ الْقَرآنِ

الدكتورة عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، تقاهرة

فيما اشتغل به على المدى الطويل من دراسة البيان القرآني ، ادركت أننا سنظل مجوبين عن أسرار لفتنا ، اذا لم نعد ننجزلها في القرآن الكريم ، معجزة النبي العربي ، وكتاب العربية الأكبر . وذكرت أننا مضينا على ان نختار لابنائنا النماذج العليا من دواوين الشعراء ونثر الكتاب . وتمضي دراستهم للعربية وادبها ، بمعزل عن هذا الكتاب الحكم المبين ، الذي يجعل ذوقها الاصيل الرهف ، في ذروة نتائجه وامجار بيته .

وإذ أخضع في مهمي لبيان القرآن ودلائله الشاذة ، للمتيق الذي تلقيه من «استاذنا أمين الغول» في استقراء الاستعمال القرآني لكل لفظ او عبارة ، وتثير سياقاتها الخاص في الآية والسورة ، والبيان العام في الكتاب كله ، بدا لي بعد طول التدبر والتأمل ، انه حينما يحدث المسرورون مدة اللاظ في تفسير لفظ القرآن ، يميئنون ان افسع لفظا منها في موضع اللفظ الذي نزل به الكتاب الحكم ، دون ان يضيع سر الكلمة .

وما من هرف تأولوه زالدا او قدروه مخدوفا ، يمكن ان تقوم العبارة على التأويل بزيادته او هذه . وللتعمي هذا الى اسرار العربية احتجبت هنا ، لطول ما اختلطت الدلالة القرآنية بالدلائل المجممية ، ولطول ما احتكمت قوام الصنعة الامرانية والمنطق البلاغي المدرسي ، في توجيه النص الاملاني الذي ينبغي ان تعرض عليه كل توامد النهاة واللغويين والبلاغيين .

ولا يتسع المجال المحدود هنا لعرض كل ما اجتليت من هذه الاسرار التي حجبت هنا ، وانما حسبى ان اقدم منها المثل والشامد ، في سر البيان في الحرف لا يبني منه سواه وفي الكلمة لا يقوم مقامها غيرها من حشد الانفاظ المقول بترادفها ، وفي التعبير يتحدى كل محاولة للتلویله على غير ما جاء به في البيان المعجز : « لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشبة الله ، وظك الامثال نصرها للناس لعلهم ينتكرون » .

سر الحرف

ما من حرف في القرآن الكريم ، تأولوه زائداً أو قدروه محنوفاً أو فسروه بحرف آخر ، الا وينحدى بسره البصري كل محاولة لتأويله على غير الوجه الذي جاء به في البيان المعجز .

*

من سر الحرف ، اقدم هنا شواهد من حروف قرآنية ، مفردة ومركبة ، حاول المفسرون في تأويلها أن يعدلوا بها على وجه التقدير والتاویل ، عن نظمها الذي جاءت به في البيان الأعلى ، لكن تلبي مقتضيات الصنعة الامرية أو أحكام الصنعة البلاغية . وبقيت هذه الحروف ، تتحدى كل محاولة لتفسيير أو تقدیر بحث وزيادة .

ولنأخذ مثلاً ، حرف الباء في مثل قوله تعالى :
« وما ربك بخالق مما تعملون »
« لست عليهم بمحيط »

جرى النحاة والمفسرون على القول بأن هذه الباء زائدة في خبر « ما » و « ليس » لا يعنيون بزيادتها أنها جانت علينا أو لفوا ، وإنما هي عندهم زائدة للتاكيد .

وقد جاء « ابن هشام » بهذه الباء الزائدة في الخبر ، مع خمسة مواضع أخرى لزيادة الباء ، وأدرجها جميعاً تحت حكم حام ، هو معنى التاكيد المستناد من الباء الزائدة (1) .

ومع قولهم أن هذه الباء الزائدة في الخبر ، للتأكيد ، جرت الصنعة الامرية على تصر عملها على الشكل لا المعنى . فهي تعمل في ظاهر لفظ الخبر وبقي الحكم الامرائي على أصله ، منصوباً بملحة متدرجة على آخر الخبر ، منع من ظهورها استفال الحل بحركة حرف الباء الزائد .

ونردد نحن هذا الحكم التقليدي جيلاً بعد جيل . ويتنبه الطلاب جميعاً تلقينا لا يمكنون إلا أن يحظوا دون أن تتردد في قبول القول بزيادة الباء وقد صار من المتواترات البديهية التي تتولها على وجهه الفسورة والازام .

(1) مختن اللبيب : ج 1 من 91 ط الجمالية بالقاهرة 1329 .